(112) تلقائية تغني عن ذكر المحدث جل شأنه ، بما أودع سبحانه في الأرض من قوة التسخير لما يريد لها ، وهنا أيضا مباغتة ، لا يدري معها الإنسان يوم القيامة ، وتركيز للانتباه في أخذ الرجفة بحركة تلقائية ، صائرة الى ما سخرت له(1) . في هذا المناخ يتيقظ العقل ، ويصحو الضمير ، وتتحرك العواطف ، مستفيدة العظة والعبرة والإقلاع عن الغي ، وكل ذلك من خصائص المجاز العقلية ، لأن فيه توجها للحدث ذاته كما في قوله تعالى : (فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفّاهن الموت *)(2) إذ اعتبر المتوفى هو الموت ، والموت لا يتوفى ، لأن المتوفى هو ملك الموت بأمر ا تعالى ، وهو المتوفي الحقيقي " فنقل الفعل الى الموت على طريق المجاز والاتساع ، لأن حقيقة التوفي هو قبض الأرواح من الأجسام " .(3) ولكنه طوى ذكر الفاعل الحقيقي في هذا المجال ، تأكيدا على حقيقة الموت وطواعية حدوثه ، فكأنه يحدث ذاتيا ، ويقع تلقائيا ، وفي ذلك كبح للنفوس ، وتهيؤ للمدارك ، وضبط للشهوات . وما يقال هنا يقال بالنسبة لقوله تعالى : (ومن خفّت موازينه فأولائك الّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون *)(4) فنسبة الخسران الى النفوس ، وإضافته إليها من المجاز العقلي ، واستعمل له التنظير الحسي لتحريك العقل الإنساني من غفلته ، فعمره بضاعة ، ومراد البضاعة الربح ، فمن تعرض لخسران هذه البضاعة حسيا ، كمن خسر عمره وأضاعه عقليا ، وقد نبه السيد الشريف الرضي على هذا الملحظ فقال : " لأن الخسران في التعارف إنما هو النقص في أثمان المبيعات ، وذلك يخص الأموال لا النفوس ، إلا أنه سبحانه لما جاء بذكر الموازين

_____

(1) ظ : بنت الشاطىء ، التفسير البياني : 1/116 .
(2) النساء : 15 . (3) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : 127 . (4) الأعراف : 9 .